عوامل الصبر والثبات
في مواجهة الاضطهادات

تمهيد:

= **الفتن واقعة لا محالة:** قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أُمَّتِي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ، لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ فِي الآخِرَةِ، عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا: الْفِتَنُ وَالزَّلازِلُ وَالْقَتْلُ).

= **كثرة الفتن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في المسلمين:** عن أسامة بن زيد –رضي الله عنهما– قال: أَشْرَفَ عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ قَالَ: (هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟ إِنِّي لأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ)، وذلك إشارة إلى الحروب التي جرت بينهم: "كوقعة الجمل، وصفين، والحرة، وقتل عثمان، ومقتل الحسين".

= **شدة الفتن في زماننا:**

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إلا بَلاءٌ وَفِتْنَةٌ)

وقال أيضاً: (تَكُونُ فِتْنَةٌ تَعْرُجُ فِيهَا عُقُولُ الرِّجَالِ حَتَّى مَا تَكَادُ تَرَى رَجُلاً عَاقِلاً)، أي تستخف عقول الرجال.

١= معرفة الواقع وفقه المرحلة:

= العلم أن الواقع هو مرحلة استضعاف تقتضي ترك المواجهة والصدام:

أتى عبد الرحمن بن عوف وأصحابه إلى النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فقالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي عِزٍّ وَنَحْنُ مُشْرِكُونَ، فَلَمَّا آمَنَّا صِرْنَا أَذِلَّةً، فَقَالَ: (إِنِّي أُمِرْتُ بِالْعَفْوِ، فَلا تُقَاتِلُوا) فَلَمَّا حَوَّلَنَا اللَّهُ إِلَى الْمَدِينَةِ، أَمَرَنَا بِالْقِتَالِ، فَكَفُّوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ).

= واجب الوقت الصبر وعدم الاستعجال:

قال خباب بن الأرت: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً، وَهُوَ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ وَقَدْ لَقِينَا مِنَ المُشْرِكِينَ شِدَّةً، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ، فَقَعَدَ وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ، فَقَالَ: (لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ المِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، مَا يَخَافُ إِلا اللَّهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ ولكنَّكم تَسْتَعْجِلُون).

٢= معرفة حكمة الابتلاء بالاستضعاف:

٢/١ مرحلة الاستضعاف تربية لأولياء الرحمن:

(وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ)

مثال: "التدريبات الشاقة ترفع من قدرة الجنود قبل المواجهة".

٢/٢ التصفية والتنقية ليخرج منهم من ليس منهم:

قال تعالى: (الم . أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)

وقال: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)

مثال: "الجندي الذي لا يتحمل التدريبات الشاقة لا يصلح لحمل الراية".

٣/٢ معرفة قدر هذا الدين العظيم الذي من أجله يتحملون، ويكون سببًا في دخول الناس في هذا الدين إعجابًا وتعجبًا لصبرهم: "سبب إسلام سعيد بن عامر الجمحي هو إعجابه بصبر وثبات خبيب بن عدي عند قتله أسيرًا".

٣= الاهتداء بهدي القرآن وأوامره:

فقد تنوعت توجيهات القرآن عند نزوله على حسب مراحل القوة والضعف، والقدرة والعجز.

= **ففي العهد المكي** آيات تواكب الحدث تحثهم على تحمل البلاء من أجل نشر دينهم: (قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ. النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ. إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ. وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ. وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ. الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ. إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ).

= **وفي العهد المدني** آيات تأمرهم بالشدة والمواجهة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ).

٤= معرفة السنن الكونية والشرعية:

= حتمية تكذيب واضطهاد أهل الباطل لأهل الحق: كالمكذبين للرسل من قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم إبراهيم، وقوم لوط، وأصحاب الأيكة، وفرعون موسى: (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ)، (كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ)، (كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ)، (كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ).

= الاتعاظ بحتمية إهلاك الله للظالمين والمكذبين: (قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ).

= الاتعاظ بحتمية تغيير المؤمنين لأنفسهم قبل تغيير الله لواقعهم: (إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ).

٥= الثقة في وعد الله بالنصر والتمكين لأهل الحق بعد المحنة والشدة:

(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ . وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ . وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ).

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ. وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ).

٦= الاهتمام في مرحلة الاستضعاف بتزكية النفوس وإصلاحها:

١/٦ = **قيام الليل:** فرض قيام الليل أول الإسلام: (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ).

٢/٦ = **حسن الخلق ولو مع المشركين:** (وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ).

٣/٦ = **الإكثار من العبادة والعمل الصالح:**

قال تعالى: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ).

قال صلى الله عليه وسلم: (بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا).

وقالت أم سلمة: اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً فَزِعًا، يَقُولُ: (سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الخَزَائِنِ؟ وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الفِتَنِ؟ مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الحُجُرَاتِ –يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ لِكَيْ يُصَلِّينَ–؟ رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ).

وقال صلى الله عليه وسلم: (الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ).

٤/٦ = **الدعاء والتضرع:**

قال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ. فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا؟ وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

وقال تعالى في الحديث القدسي: (يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو: (اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ).

٥/٦ = **الصبر والحلم والترفق:**

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ).

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنِ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنُ، وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا)، وَاهًا: كلمة تعني التلهف أو يعبر بها عن الإعجاب بالشيء.

قال صلى الله عليه وسلم: (مِنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ)، ولعل من الطيش ما أصبح بين الناس وصفًا محمودًا على إطلاقه بأنه "تصرف ثوري" ونحوه.

الخطبة الثانية

٧= الاسترشاد بالعلماء زمن الفتن والاستبصار برأيهم:

= **منزلة العلماء:** قال تعالى: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ)،

= **الانصراف عن طلب العلم والاستبصار بالعلماء هو من علامات الفتن:** قال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لأَيَّامًا، يَنْزِلُ فِيهَا الجَهْلُ، وَيُرْفَعُ فِيهَا العِلْمُ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الهَرْجُ) وَالهَرْجُ: القَتْلُ.

= **العلماء أبصر الناس بأحوال الفتن، ولهم دور في منع الفتن قبل انتشارها:** كأبي بكر الصديق يوم الردة، وأحمد بن حنبل يوم محنة خلق القرآن، وابن تيمية يوم غزو التتر لبلاد الشام.

نعم:

١–تسيس العلماء أنساهم أحياناً الابتسامة على محياهم

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ].

وعن جابر بن سَمُرَة قال: [كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طويل الصمت، قليل الضحك، وكان لا يضحك إلا تبسُّماً].

٢–تسيس العلماء أنساهم أحياناً حسن الخلق

عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [خياركم أحاسنكم أخلاقا].

٣–تسيس العلماء أنساهم أحياناً الكلم الطيب:

قال الله تعالى: "لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا".

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ].

٤–تسيس العلماء أنساهم أحياناً الفرق بين الرأي السياسي والحكم الشرعي:

فأن تقول رأيي السياسي هو كذا وبين أن تقول الحكم الشرعي في المسألة كذا.

ولا حجر على الشيخ أن يبدي رأيه السياسي، فحتى القضاة اليوم لهم آراء سياسية، فلم لا يكون للمشايخ آراؤه السياسية.

ولكن لا تحتكر الرأي السياسي الصحيح، فكلامك صواب يحتمل الخطأ وكلام غيرك خطأ يحتمل الصواب.

في صحيح مسلم عن بريدة قال: [كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميرا على جيش أو سرية؛ أوصاه،.. إذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله؛ فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا].

٥-تسيس العلماء أنساهم أحياناً أنهم دعاة إلى الله، وظيفتهم كسب الناس ليكونوا مؤمنين:

في الصحيحين عن سهل بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: ["لأعطين الراية غدا رجلا يفتح على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله". فبات الناس ليلتهم أيهم يعطى، فغدوا كلهم يرجوه، فقال: "أين علي؟"، فقيل يشتكي عينيه، فبصق في عينيه ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: "انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من أن يكون لك حمر النعم].

حينما يقرأ الإنسان قول النبي صلى الله عليه وسلم: **[لأن يهدي الله بك رجلا خير لك من أن يكون لك حمر النعم]**؛ يتلهف لئن يكسب أكبر قدر ممكن من قلوب الناس لهدايتهم ودلالتهم إلى الطريق المستقيم، ليفوز بالمغنم الذي بينه النبي صلى الله عليه وسلم.

انتهى